﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾ [النّساء: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بَيانُ ما يُرِيدُهُ اللهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الهِدايَةِ والإكْرام بَعْدَ ذِكْرِ التَّشْريعاتِ والأَحْكام

لَمَّا فَصَّلَ اللهُ ﷻ أَحْكامَ المُحَرَّماتِ مِنَ النِّساءِ، وَبَيَّنَ حُكْمَ العاجِزِ عَنْ نِكاحِ الحَرائِرِ مِنَ المُحْصَناتِ، والرُّخْصَةَ لَهُ في نِكاحِ الإماءِ بالشُّروطِ الشَّرْعيَّةِ والآدابِ المَرْعيَّةِ؛ أَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ هذا يُعَدُّ بَيانًا وَهُدًى لِأُمَّةِ الإسْلامِ، حتَّى لا تَكونَ شَريعَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ دونَ شَرائِعِ مَنْ سَبَقَها مِنَ الأُمَمِ، بَلْ تَفُوقُها في انْتِظامِ أَحْوالِها[1]، فَجاءَ التَّعْقيبُ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾؛ لِيُبَيِّنَ ما يُرِيدُهُ اللهُ ﷻ لِهَذِهِ الأُمَّةِ بِهَذِهِ الأَحْكامِ والتَّشْريعاتِ والتَّنْظيماتِ، فَإِرادَتُهُ تعالى أَنْ يُبَيِّنَ لنا الحَلالَ والحرامَ، وأَنْ يَدُلَّنا على السُّنَنِ الحَميدَةِ لِمَنْ قَبْلَنا مِنَ الأَنْبياءِ والمُرْسَلينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحينَ.

كَما أَنَّهُ ﷻ لَمَّا ذَكَرَ الحَلالَ والحَرامَ مِنْ تِلْكَ الحُدودِ والأَحْكامِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ، وخَتَمَها بِصِفَةِ المغفرةِ والرَّحْمَةِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ بَيَّنَ في هَذِهِ الآيَةِ ما أَرادَ بِها مِنْ مُوجِباتِ الرَّحْمَةِ تَذْكيرًا بِالنِّعْمَةِ لِتُشْكَرَ، وتَحْذيرًا مِنْ أَنْ تُنْسى، فَتُكْفَرَ، فَقال تَعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ﴾[2].

ومِنْ ناحِيَةٍ أُخْرى: فإنَّ ذِكْرَ التَّوْبَةِ: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ﴾ مُناسِبٌ لِختامِ الآيَةِ الَّتي قَبْلَها: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ لِأَنَّ شَريعَةَ اللهِ مَبْنِيَّةٌ على الرَّحْمَةِ في الأَحْكامِ والمَقاصِدِ، فاللهُ الغفورُ الرَّحيمُ يُريدُ بِنا الرَّحْمَةَ في الأَحْكامِ والمَغْفِرَةَ والتَّوْبَةَ عِنْدَ العَجْزِ والتَّقْصيرِ.

(1) ابنُ عاشور، التَّحْرير والتَّنْوير: 5/18.
(2) البِقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 5/540 - 541.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُرِيدُ﴾: أَرَادَ الشَّيْءَ: شاءهُ، وأَحبَّه، وعُنِيَ بِهِ[1]، يُقالُ: أرَاد يُريد إرَادَة[2]، والمراد من الإرادة هنا: الإرادةُ الشَّرعيَّةُ: وهي المتضمِّنةُ محبَّةَ اللّه، ورضاه، وهي الأوامر الشَّرعيَّة، الَّتي يحبُّها اللّه، ويرضاها[3].

2) ﴿لِيُبَيِّنَ﴾: البَيْنُ والبَوْنُ: وُضوحُ الشَّيْءِ وجَلاؤُهُ بِامْتِدادٍ أَوِ اتِّساعٍ أَو انْقطاعٍ[4]، وأَصْلُ (بين): بُعْدُ الشَّيْءِ وَانْكِشَافُهُ[5]، ومِنْهُ البَيانُ والتَّبيينُ بِمَعْنى: الإيضاحِ والإفْهام.

3) ﴿سُنَنَ﴾: جَمْعُ سُنَّةٍ، وهِيَ الطَّريقَةُ المَسْلوكَةُ، والسِّيرَةُ، ويَغْلِبُ إِطْلاقُها على الطَّريقَةِ المُسْتَقيمَةِ المَحْمودَةِ[6]، وهِيَ في الأَصْلِ: جَرَيَانُ الشَّيْءِ وَاطِّرَادُهُ في سُهُولَةٍ[7]، والمَعْنى هُنا: طَرائِقُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ومناهِجُهم.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُريدُ اللّه سُبْحانَهُ - بِتَشْريعِهِ هَذِهِ الأَحْكام لَكُمْ، فمرادُ اللّه فيها محبوبٌ له - أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ مَعالِمَ شَرْعِهِ ودينِهِ، وَما يَحِلُّ لَكُمْ، وَما يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ مِمَّا فيه مَصالِحُكُم الدُّنْيَويَّةُ والأُخْرَويَّةُ، ويُريدُ أَنْ يُرْشِدَكُمْ إلى شَرائِعِ الأَنْبياءِ مِنْ قَبْلِكُمْ في التَّحليلِ والتَّحْريم، وشَمائِلِهِم الكَريمَةِ، وسِيَرِهِمُ الحَميدَةِ لِتَتَّبِعُوهُمْ، ويُريدُ جلَّ شأْنُهُ أَنْ يَرْجِعَ بِكُمْ عَنْ مَعْصيَتِهِ إلى طاعَتِهِ، واللّه عَليمٌ بما فيه مَصْلَحَةُ عِبادِهِ في أَمْرِ دينِهِمْ ودُنْياهُمْ، حَكيمٌ في تَشْريعِهِ وتَدْبيرِهِ لِشُؤونِهِمْ[8].

مِنْ تَمامِ رَحْمَةِ اللّهِ بِعِبادِهِ، هِدايَتُهُ لَهُمْ بِبَيانِ طَريقِ الحَقِّ، وتَوْبَتُهُ عَلَيْهِمْ مَعَ تَقْصيرِهِمْ

(1) ابن سيده، المحكم: (رود).
(2) ابْنُ الأَثِيرِ، النِّهايَةُ في غَرِيبِ الحَدِيثِ والأَثَرِ: (رود).
(3) ابْنُ تيمية، مجموع الفتاوى: 8/188.
(4) الراغب، المفردات: (خدن)، (بين)، وجبل، المُعْجَمُ الاِشْتِقاقيُّ المُؤَصَّل: (بون، بين).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بون، بين).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابْنُ مَنْظورٍ، لِسَانُ العَرَب: (سنن).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سنن)، وجبل، المُعْجَمُ الاِشْتِقاقيُّ المُؤَصَّل: (سنن، سنسن).
(8) القُرْطُبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/244، والمَحَليِّ والسُّيوطيُّ، تَفْسيرُ الجَلالَيْن، ص: 105، والمُخْتَصَرُ في تَفْسيرِ القُرْآنِ الكَريم، ص: 82.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالَةُ الاِسْتِئْنافِ في قَوْلِهِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾:

تَقْريرُ ما سَبَقَ مِنَ الأَحْكامِ، وبَيانُ كَوْنِها جَارِيةً على مناهجِ المُهْتَدينَ مِنَ الأَنْبياءِ والصَّالِحينَ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ استِئْنَافًا بيانيًّا؛ إذْ هذه الجملةُ واردة جوابًا عن سؤالٍ يُفْهَمُ ممَّا سبقَ؛ كأنَّ سائلًا سَأل: ما الحِكْمَةُ مِن تَشْريع تلك الأَحْكَام؟ فجاء الجَوَابُ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

وهَذِهِ الجُمْلَةُ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بِمَنْزِلَةِ التَّذييلِ الشَّامِلِ لِما سَبَقَ، والمرادُ منه إيناسُ المُؤْمنينَ واسْتِنْزالُ نُفوسِهِمْ إلى امْتِثالِ الأَحْكامِ المُتَقَدِّمَةِ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إلى هنا؛ فَإِنَّها أَحْكامٌ جمَّةٌ، وأَوامِرُ ونَواهٍ[1] يَسْمو بها المُجْتَمَعُ المُسْلِمُ، ويَتَخَلَّصُ بها مِنْ ظُلُماتِ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ وشَهَواتِهِمْ[2]، ويَرْفَعُ بها مُسْتواهُ الإيمانيَّ إلى القِمَّةِ السَّامِقَةِ الوَضيئَةِ بِهدايَتِهِمْ إلى سُنَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِن الأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَهذا الخِطابُ يَرْفَعُهُمْ إلى مَرْتَبَةٍ عُلْوِيَّةٍ تُؤَهِّلُهُمْ إلى هِدايَتِهِ لَهُمْ وتَوْبَتِهِ عَلَيْهِمْ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ الْمُضارِعِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾:

إِفَادَةُ التَّجَدُّدِ وَالاسْتِمْرارِ في الانْتِفاعِ بالْبَيانِ وَالْهِدَايَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَبَيانُ صَلاحِ هَذا الدِّينِ لِكُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ:

جاء التَّعبيرُ بِصيغَةِ المُضارِعِ في الأفعال الأربعة: ﴿يُرِيدُ﴾ و﴿لِيُبَيِّنَ﴾ و﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ و﴿وَيَتُوبَ﴾ في هذا السِّياقِ؛ لِلدَّلالَةِ على تَجَدُّدِ الانْتفاعِ بهذا البَيانِ واسْتِمرارِهِ، فَإِنَّ نَفْعَ هَذِهِ التَّشْريعاتِ والهِداياتِ والرَّحماتِ مُتَجَدِّدٌ مُسْتَمِرٌّ، فَتَكونُ بِذلِكَ مِنْحَةً لِلْمُخاطَبينَ ولِمَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ، ولِلدَّلالَةِ على أَنَّ اللّٰه تعالَى يُبْقي بَعْدَها بيانًا وهَدْيًا مُتعاقِبًا[3] صالِحًا لِكُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، ومُواكِبًا لِجَميعِ البيئاتِ وسائِرِ

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/18.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْلِ السّليم: 1/684.
(3) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/18.

الأَحْوالِ ومُناسِبًا لِجَميعِ الأَجْيالِ، كَما كان امْتِدادًا لِما سَبَقَها مِنْ شَرائِعَ إلهِيَّةٍ، فَشَريعَتُهُ شَريعَةٌ سَمْحَةٌ غَرَّاءُ، جَمَعَتْ، فَأَوْعَتْ، فَهِيَ عَريقَةُ الأُصولِ مورِقَةُ الفُروعِ وارِفَةُ الظِّلالِ يانِعَةُ الثِّمارِ على تَجَدُّدِ الجَديدَيْنِ؛ كَما أَنَّ تَوالي العَطْفِ بَيْنَ هَذِهِ الأَفْعالِ يُشْعِرُ بِتَوالي رَحماتِ اللّهِ في شَرْعِهِ وحُكْمِهِ، وعِنايَتِهِ بِخَلْقِهِ تَعَطُّفًا وتَكَرُّمًا.

دَلالَةُ اللَّامِ في ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ بَيْنَ التَّأْكيدِ والمُبالَغَةِ:

في تَنَوُّعِ دِلالاتِ الْحُرُوفِ إِثْراءٌ لِلْمَعاني وَتَكْثيرٌ لَهَا

مِثْلُ هَذا التَّرْكيبِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ وَقَعَ في كَلامِ العَرَبِ قَديمًا، وقَدِ اخْتَلَفَ النُّحاةُ في مَعْنى اللَّامِ الدَّاخِلَةِ على الفِعْلِ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ وعَمَلِها، وفي تَقْديرِ مَفْعولِ الفِعْلِ ﴿يُرِيدُ﴾ قَبْلَها، وقَدْ خَرَّجوا المَسْأَلَةَ على مَذاهِبَ: فَمَذْهَبُ سيبَوَيْهِ وجُمْهورِ البَصْرِيِّينَ أَنَّ مَفْعولَ ﴿يُرِيدُ﴾ مَحْذوفٌ، واللَّامِ لِلتَّعْليلِ، والتَّقْديرُ: يُريدُ اللّهُ تَحْليلَ ما أَحَلَّ، وتَحْريمَ ما حَرَّمَ؛ لِأَجْلِ التَّبْيينِ لَهُمْ بِهِدايَتِهِمْ[1]، فَمُتَعَلَّقُ الإِرادَةِ غَيْرُ التَّبْيينِ وَما عُطِفَ عَلَيْهِ، وَلا يَجوزُ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكونَ مُتَعَلَّقُ الإِرادَةِ التَّبْيينَ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إلى تَعَدِّي الفِعْلِ إلى مَفْعولِهِ المُتَأَخِّرِ بِوَساطَةِ اللَّامِ، وَإلى إِضْمارِ (أَنْ) بَعْدَ لامٍ لَيْسَتْ لامَ الجُحودِ، وَلا لامَ كَيْ، وَكِلاهُمَا لا يَجوزُ عِنْدَهُمْ[2].

وَمَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ: أَنَّ مُتَعَلَّقَ الإِرادَةِ هُوَ التَّبْيينُ، وَاللَّامُ: هِيَ النَّاصِبَةُ بِنَفْسِها، لَا بِـ (أَنْ) مُضْمَرَةٍ بَعْدَها، وأَنَّها تَقومُ مَقامَ (أَنْ) في فِعْلِ الإِرادَةِ والأَمْرِ، فَيُقالُ: أَرَدْتُ أَنْ تَذْهَبَ، وأَرَدْتُ لِتَذْهَبَ، وأَمَرْتُكَ أَنْ تَقومَ، وأَمَرْتُك لِتَقُوم، وَعليه قوله تَعالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التَّوْبَةُ: 32]، وَقَالَ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصَّفُّ: 8]، وَقَالَ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غَافِرٌ: 66]،

(1) القَيْرَوانيّ، النُّكَتُ في القُرْآنِ الكَريمِ، ص: 189، وإسماعيلُ الأَصبهانيُّ، إعْرابُ القرآنِ، ص: 89.
(2) أبو حيان، البَحْرُ المُحيط: 3/600.

وَقَالَ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشُّورى: 15][1]، فَإذا جاؤوا بِاللَّام أَشْبَهَتْ لَامَ التَّعْلِيلِ، فَقَدَّرُوا (أَنْ) بَعْدَ اللَّامِ المؤكِّدة.

وَمِنْ أهلِ الْعِلْمِ مَنْ قَرَّرَ قَوْلَ سِيبَوَيْهِ بِخِلافِ ما سَبَقَ؛ بِأَنَّ الْمَفْعُولَ الْمَحْذُوفَ دَلَّ عَلَيْهِ التَّعْلِيلُ الْمَذْكُورُ، فَيُقَدَّرُ: يُرِيدُ اللهُ الْبَيَانَ لِيُبَيِّنَ، ويَكونُ الْمَصْدَرُ الْمُنْسَبِكُ مَفْعُولَ (يُرِيدُ)، والمَعْنى: يُرِيدُ اللهُ الْبَيَانَ لَكُمْ وَالْهُدَى وَالتَّوْبَةَ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ مُبَالَغَةً بِجَعْلِ الْعِلَّةِ نَفْسَ الْمُعَلَّلِ، فَكَانَ أَصْلُ الاسْتِعْمَالِ ذِكْرَ (أَنْ) الْمَصْدَرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ فَاللَّامُ هُنَا لِتَوْكِيدِ مَعْنَى الْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهَا[2].

وذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّامَ ظَرْفٌ مُسْتَقِرٌّ، هُوَ خَبَرٌ عَنِ الْفِعْلِ السَّابِقِ، وَذَلِكَ الْفِعْلُ مُقَدَّرٌ بِالْمَصْدَرِ دُونَ سَابِكٍ، أَيْ: إِرَادَةُ اللهِ كَائِنَةٌ لِلْبَيَانِ عَلَى حَدِّ: (تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ)[3]، ويَكونُ الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ مَحْمُولًا عَلَى الْمُبَالَغَةِ، كَأَنَّ إِرَادَةَ اللهِ انْحَصَرَتْ فِي ذَلِكَ[4].

وتَنَوُّعُ هذهِ المَعَاني إِثْرَاءٌ لِلنَّصِّ القُرآنيِّ وتَكْثِيرٌ لِلْمَعَاني؛ إِذِ القرآنُ الكريمُ حمَّالُ وُجُوهٍ، بعضُهَا يُكَمِّل بَعْضًا، وَيُقَوِّيه.

سِرُّ التَّرْتِيبِ بَيْنَ الْبَيَانِ وَالْهِدَايَةِ وَالتَّوْبَةِ فِي تَعَلُّقِ كُلٍّ مِنْهَا بِمَا قَبْلَهُ:

الْهِدَايَةُ ضَرْبَانِ: هِـدَايَـةُ إِرْشَـادٍ وَبَيَانٍ، وَهِدَايَةُ تَوْفِيقٍ وَإِلْهَامٍ

الهِدايَةُ هِدايَتان: هِدايَةُ بَيانٍ ودِلالَةٍ، وهِدايَةُ تَوْفيقٍ وإِلْهام، وهِيَ تَكونُ بَعْدَ هِدايَةِ البَيانِ، فَإِذا حَصَلَ البَيانُ والتَّعْريفُ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ هِدايَةُ التَّوْفيقِ؛ ولِأَنَّ مِنَ الأُمورِ ما قَدْ يُهْدَى المَرْءُ إِلى أَصْلِها دونَ تَفْصيلِها، فَهُوَ مُحْتاجٌ إِلى هِدايَةِ تَفاصيلِها، وأُمورٌ قَدْ هُدِيَ إِلَيْها مِنْ وَجْهٍ دُونَ وجهٍ، فَهُوَ مُحْتاجٌ إِلى تَمامِ الهِدايَةِ فيها، لِتَتِمَّ لَهُ الهِدايَةُ،

(1) الرازي، أُنموذَج جَليل، ص: 67، والسَّايس، تَفْسيرُ آياتِ الْأَحْكام، ص: 268.

(2) الفيروزابادي، بَصائِرُ ذَوي التَّمْييز: 4/411، وابنُ عاشور، التَّحرير والتَّنْوير: 5/18.

(3) (تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ)، ويروى: (لأَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ)، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ خَبَرُه خَيْرٌ من مَرْآهُ، قالَ المُفَضَّلُ: "أَوَّلُ مَنْ قال ذَلِكَ المُنْذِرُ ابْنُ ماءِ السَّماءِ"، الميداني، مَجْمَعُ الأَمْثال: 1/129.

(4) ابنُ عاشور، التَّحرير والتَّنْوير: 5/19.

ويزدادَ هُدًى إلى هُداهُ، ولا يَكونُ ذلك إلَّا بالتَّفصيلِ والبَيانِ، ولَمَّا كان العَبْدُ مُفْتَقِرًا إلى الهدايَةِ في ظَاهِرِهِ وبَاطِنِهِ في جَميعِ ما يَأْتيهِ، ويَذَرُهُ مِنْ أُمورٍ قَدْ فَعَلَها عَلى غَيْرِ الهِدَايَةِ عِلْمًا وعَمَلًا وإرادَةً، أَوْ قَصَّرَ في الإتْيانِ بها عَلى وَجْهِها؛ فَهُوَ مُحْتاجٌ بَعْدَها إلى التَّوْبَةِ مِنَ التَّفْريطِ والتَّقْصيرِ.[1]

إذًا، فَهذا هُوَ التَّرْتيبُ الطَّبَعِيُّ، فَإنَّهُ قُدِّمَ البَيانُ على هِدايَةِ السُّنَنِ؛ لِأَنَّ البيانَ مُقَدَّمٌ على الهِدايَةِ، فالهِدايَةُ تَكونُ بَعْدَ البَيانِ، وإلَّا فَإلى أَيِّ شَيْءٍ يَهْديهِ؟ وأَمَّا التَّوْبَةُ؛ فَهِيَ بَعْدَ البَيانِ والهِدايَةِ، فَإنَّها تَكونُ بَعْدَ التَّقْصيرِ في الاتِّباعِ، وارْتِكابِ الذُّنوبِ والمَعاصي.

دِلالَةُ حَذْفِ الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾:

مَفْعولُ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ من قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ مَحْذوفٌ بِدَليلِ السِّياقِ، وتَقْديرُهُ: يُريدُ اللهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ ما هُوَ خَفِيٌّ عَنْكُمْ مِنْ مَصالِحِكُمْ وأَفاضِلِ أَعْمالِكُمْ، أَوْ ما تَعَبَّدَكُمْ بِهِ مِنَ الحَلالِ والحَرامِ[2]، فَحُذِفَ إيْجازًا لِشِدَّةِ ظُهورِهِ، فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ أَوْضَحَ بَيانٍ وأَوْفاهُ كُلَّ ما يُصْلِحُ النَّاسَ في مَعاشِهِمْ، ويَنْفَعُهُمْ في مَعادِهِمْ، وهذا أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ لا رَيْبَ فيه، دَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّامُ المُؤَكِّدَةُ لِإرادَةِ التَّبْيينِ في ﴿لِيُبَيِّنَ﴾[3].

الشَّريعَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَحْقيقِ مَصالِحِ الْعِبادِ وَمَا فِيهِ نَفْعُهُمْ فِي الدُّنْيا، وَفَلاحُهُمْ فِي الْآخِرَةِ

نُكْتَةُ تَقْديمِ العِلْمِ عَلَى الْحِكْمَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

سِياقُ الآياتِ السَّابِقَةِ كُلُّهُ يَنْدَرِجُ تَحْتَ العِلْمِ بِأَحْكامِ المُحَرَّماتِ مِنَ النِّساءِ وما يَحِلُّ مِنْهُنَّ، فَكانَ المُقْتَضَى أَنْ تُقَدَّمَ صِفَةُ العِلْمِ، مَعَ مُلاحَظَةِ المُبالَغَةِ في الوَصْفِ بالعِلْمِ بالأَشْياءِ الَّتي مِن جُمْلَتِها ما شَرَعَ اللهُ - جلَّ شَأْنُهُ - لِلْمُؤْمِنينَ مِنَ الأَحْكامِ، كَما فيه مُبالَغَةٌ

أَحْكَامُ اللهِ تَعَالَى نَاشِئَةٌ عَنْ كَمَالِ الْعِلْمِ وَكَمَالِ الْحِكْمَةِ

(1) ابْنُ القَيِّمِ، مَدارِجُ السَّالِكِين: 1/32، وابْنُ القَيِّمِ، الصَّلاةُ وأَحْكامُ تارِكِها، ص: 144.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْلِ السّليم: 1/684.
(3) الزّمَخْشري، الكشاف: 2/60، والبَيْضاويُّ، أَنْوارُ التَّنْزيل: 2/70، وأبو السّعود، إرشادُ العَقْلِ السّليم: 1/684.

في وصْفِهِ بِمُراعاةِ الحِكمَةِ والمصْلَحَةِ في جَميعِ أَفْعالِه سُبْحانَهُ، مَعَ مَا في الجمع بين الوَصْفَيْنِ مِنَ الكَمالِ والجَلالِ[1]، وقُدِّمَ العِلْمُ عَلَى الْحِكْمَة؛ لأنَّ الإتْقانَ نَاشِئٌ عَنِ الْعِلْمِ[2].

تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

تَنَاسُبُ مَقَاطِعِ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِمَضَامِينِهَا

قال اللهُ سُبْحَانَهُ في الآية السَّابقة: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال في هذه الآيَة: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ونُكْتَةُ اخْتِصَاص كُلِّ آيةٍ بما فيها مِنَ الأسمَاءِ الْحُسْنَى أنَّ الآية السَّابقة تقدَّمها قولُهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ﴾، فلمَّا كان اللهُ سُبْحَانَهُ قَد أباحَ التَّزوُّجَ بالإمَاءِ - بشرْطِه - رفعًا لِلْحَرجِ ودفعًا لِلْمَشقَّة، وكان ذلك دالًّا على أنَّ اللهَ تعالى رَحِيمٌ بعِبَادِه، غفُورٌ لَهُم بالتَّجَاوُز عمَّا كان الأصلُ فِيهِ التَّحريم؛ ناسَب أن تُخْتَمَ الآيةُ بذِكْرِ الاسْمَيْنِ الدَّالَّيْنِ على هَذَيْنِ المَعْنَيَيْنِ، فقَال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

بخِلَافِ هذه الآية، فقد صُدِّرت بقولِهِ تَعَالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ﴾، فلمَّا كان سببُ ذَلِكَ أنَّ اللهَ تعالى عَلِيمٌ بأحْوَالِهِم، حَكِيمٌ فيما يَشْرَعُ لهم مِمَّا فيهِ صَلَاحُهم، ناسَبَ ذَلِكَ خَتْمُ الآيةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3].

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

البَيان والهُدى:

البَيانُ إظْهارُ المَعْنى لِلنَّفْسِ كائِنًا ما كانَ، فَهُوَ في الحَقيقَةِ مِنْ قَبيلِ القَوْلِ، وهو الكلامُ الفصيحُ البليغ الَّذي فيه يظهر المعنى،

البيانُ إظْهارُ المَعْنى لِلنَّفْسِ كائِنًا ما كانَ، والهُدى بَيانُ طَريقِ الرُّشْدِ لِيُسْلَكَ

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/684.
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/247.
(3) سعد عبد العظيم، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 366.

ويوضِّح ما كان مستورًا قبله للمخاطب[1]، أمَّا الهُدى؛ فهو الإرشادُ والدَّلالةُ بلُطْفٍ إلى ما يُوصِلُ إلى المَطْلوبِ، يُقال: هَداه هُدًى وهَدْيًا وهِدايَةً وهِدْيَةً، وهَداهُ للدِّين، أي: أرْشَدَهُ إليه، وبَيَّنَهُ له، وعَرَّفَهُ به، فهو بَيانُ طَريقِ الرُّشْدِ لِيُسْلَكَ دونَ طَريقِ الغَيِّ[2]؛ لذلك جاء بعد توضيح الأحكام الشَّرعيَّة ذكر الهداية، وهي: الإرشادُ والدِّلالة لما فيه التَّوفيق، والفلاح، وجاءَ وَصْفُ القُرْآنِ بِهِما جَميعًا في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: 138]، أَيْ: بَيَانٌ لِلنَّاسِ عامَّةً، يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ الحَقَّ مِنَ الباطِلِ، وهُدًى لِقُلوبِ المُتَّقين مِنَ الضَّلالَةِ[3].

(1) السيوطي، البيان والمعاني والبديع، ص: 63، وأبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 01/684.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم: (هدى)، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 109.
(3) تَفْسيرُ ابْنِ كَثيرٍ: 2/110.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»